حضارة الصحراء الكبرى "من خلال مصادر العصر الوسيط"

أ.د .مزاحم علاوي محمد ألشاهري *

بقيت الصحراء مكونا له شخصيته المستقلة في مدونات مؤرخي وبلداني المغرب على الرغم من قلة المعلومات الواردة في تلك المصادر، وتأسيسا على هذه المصادر وغيرها يهدف البحث إلى قراءة تلك المادة التاريخية من اجل أبراز ما نهدف إليه في الحديث عن حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، في محاولة الكشف عن دور إنسانها في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .

أولا- البيئة والسكان: لابد من تسليط الضوء على المعالم الجغرافية للصحراء الكبرى، فهي ارض واسعة تمتد من سواحل المحيط غرباً حتى حدود سودان النيل في الشرق أي لمسافة تقدر بـ4000كلم، وإنها تمتد لمسافة 1500كلم ما بين الشمال والجنوب، وهي أكبر صحراء في العالم تبلغ مساحتها مايقرب من ثلاثة ملايين ميل مربع[1].

تشتمل الصحراء على الهضاب والكثبان الرملية والواحات وتنمو فيها بعض النباتات ذات البيئة الصحراوية، وتسقط الأمطار في بعض جهاتها بقدر ضئيل مما يتيح لسكانها حياة بدوية قائمة على التنقل والترحال، وعدت تلك المناطق شبه صحراوية وبخاصة عند مجابات المياه، حيث أصبحت مناطق مأهولة يتواجد فيها التجار كي تساعدهم على التنقل نحو مناطق أخرى تتوفر فيها واحات المياه الأمر الذي مكنهم من قطع الصحراء والتنقل فيها صوب المناطق التي يقصدونها[2].

إن من ابرز المعالم التضاريسية في المغرب العرق الذي يمتد جنوب سلسة الأطلسي والذي يمثل حدود المغرب جهة القبلة والجنوب، والذي يبدأ من المحيط ذاهبا باتجاه الشرق إلى مصر، تتخلله في جهة المغرب الأوسط ارض صخرية تعرف بـ" الحمادة"[3]، ومابين العراق وسلسة

* رئيس قسم الدراسات التاريخية ومدير مركز دراسات الموصل- جامعة الموصل سابقا- جامعة لاهاي الدولية- العراق.

الأطلسي صحارى شاسعة تتخللها الواحات الخضراء المتوفرة على مياه كافية لقيام نشاط زراعي مما جعلها تشتهر فعلاً ببلاد الجريد[4].

تمتد الصحراء من ليبيا شرقا حتى المغرب الأقصى وموريتانيا غرباً، حدها الشمالي يمتد على السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية من أغادير على المحيط حتى الخليج قابس مارة بواحات فجيج والاغواط وبسكرة وقفصه حتى خليج سرت على مياه البحر المتوسط، تشغل الجبال مساحات قليلة من سطحها مثل مرتفعات تبستي - في ليبيا الجزء الشمالي والباقي في تشاد- والهوقار التي يتجاوز ارتفاع بعض قممها 3000م مثل جبل تهات، كما تمتد المرتفعات في وسط موريتانيا وتعرف بالادرار وكذلك في ليبيا مثل الجبل الأخضر وجبل نفوسه، أما الهضاب فتحتل الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسة الأطلسية كما توجد هضاب الحمادة في ليبيا، وهناك هضاب أكثر ارتفاعاً منها هضاب تاسيلي- أكثر من 2000م- التي تقطع سطحها بواسطة الأودية العميقة، كما تشغل السهول والمنخفضات مساحات شاسعة منها وتشمل المظاهر الطبيعية كسهول الرق التي هي خالية من مظاهر الحياة ولكنها صالحة للمواصلات ثم العرق مثل عرق مرزق بليبيا، والعرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير بالجزائر، كما تمتد الكثبان الرملية في جهات عديدة من موريتانيا، وقد تصبح الكثبان على شكل أشرطة متوازية تتخللها معابر تجعل العبور والسير ممكنا، كما تلتقي الأشرطة الكثبانية وينشأ عنها أهرامات رملية عالية تدعى بالغرود، وهذه المناطق يحبذها الرعاة الرحل لان الرمال تسمح بتسرب مياه الإمطار[5].

أما السمة الغالبة على مناخها فهو المناخ الصحراوي الحار اي المداري الجاف الذي يتسم بقلة الأمطار بل وبانعدامها أحيانا، وهو ما ينعكس على قلة الغطاء النباتي فيها، ألأمر الذي ابن خلدون إلى تبيان الاختلاف القائم بين المناخين اللذين سادا موطنه علاوة على التدرج الواقع بينهما، فهو يحدد نمطين يصف الأول منهما بـ"مزاج التلول" والثاني بـ"مزاج الصحراء" ويعني بالأول مناخ البحر المتوسط ويقصد بالثاني المناخ المداري الجاف ممثلاً بالمنطقة التي تضم السفوح الجنوبية لجبال الأطلس وبلاد الجريد والعرق، وبطبيعة الحال فان ذلك الوصف يأخذ بعين الاعتبار هواء الرقعتين وماءها ونباتها[6].

فضلاً عن ذلك فان جريان الأنهار المتجهة جنوباً إلى الصحراء قد أسهم في قيام الواحات التي أصبحت تجمعات سكانية كما هي الحال عند نهر غير الذي قامت حوله قصور كوركلان وتسابيت وتيكورارين إذ بلغت تلك القصور حول كل نهر أكثر من ثلاثمائة[7]، وقد شجعت تلك القصور الكثير من التجار على الاستقرار بوصفها بوابات لدخول بلاد السودان كوركلان الذي كان في العصر الوسيط بابا لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان، كما أن تلك العصور أصبحت مراكز منتجة للفواكه وغيرها حتى باتت مصدراً للسودان، قال ابن خلدون: "فواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب..."[8].

أما على صعيد السكان، فقد عرف من ينتقل بين الهضاب والصحراء بحثا عن مصادر العيش لهم ولماشيتهم بـــ"أهل الوبر" تميزاً لهم عن من استقر بالسهول والجبال الذين عرفوا بـــ"أهل المدر"[9].

وتؤكد المصادر التاريخية إلى استقرار الملثمين من صنهاجة الصحراء فسكنت قبيلة جدالة ولمتونة ووريكة غرب السوس الأقصى في حين استقرت مسوفة في صحراء المغرب الأوسط بجانب لمطة الواقعة في الصحراء حيث احترفت مهنة الرعي يقول ابن خلدون: "وبقايا لمطة بالصحراء مع الملثمين ومعظمهم قبيلة بين تلمسان وافريقية"[10]، وقد حدد موطنها مارمول بالمنطقة التي "تبتدئ غرباً عند صحراء أكيدي وتمتد شرقاً إلى صحراء برودة وشمالاً إلى إقليم تكورت ووركلان وغدامس جنوباً إلى صحراء كانو التي هي إحدى مسالك بلاد السود"[11].

أما قبيلة تاوكا فقد استقرت في صحراء إفريقية أي في كل مواطن الصحراء الممتدة إلى النيل شرقاً، وعلى العموم فقد ظل الملثمون- أولاد لمت وجدالة ولمط وسطوف "ظواعن في الصحراء، رحالة لا يطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة يأوون إليها، ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام"[12]، ومن جانب أخر فقد تحكم في انتقال تلك القبائل الصنهاجية من حماها عوامل كثيرة أبرزها تزايد أعدادها مما دفعها للبحث عن موارد جديدة للعيش، وقد اتجهت إلى الشمال نحو الأراضي الخصبة، ولهذا نرى بأن صنهاجة الجنوب كانت قد اتجهت إلى إقليم الواحات وانتزعته من زناتة، بينما انتشرت صنهاجه الصحراء بين العرق- أطلس الصحراء- وبلاد السودان[13].

لقد استوطنت القبائل الصنهاجية في هضاب معلومة، فقد استوطنت قبيلتا لمطة وجزوله المنطقة من جبال درن حتى وادي نول القريبة من المحيط الأطلسي، بينما اتخذت لمتونة مدينة كالدم[14] ومنها ملوكها وامتدت شرقاً حتى الطريق الموصل بين غانة وسجلماسة[15] مصب نهر السنغال متخذة مدينة أوليك[16] مركزاً لها، وهي قريبة إلى غانة وقريبة من أودغست وطريق سجلماسة وهي اقرب إلى بلاد السودان، أما مسوفة فتمتد مضاربها في منطقة قاحلة مجدبة، حيث تقع بين سجلماسة في الشمال وأودغست في الجنوب، وكانت بعض بطونها تتوغل شرقا حتى تصل إلى تادمكة وكوكو[17].

يقول البكري: "وأهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب من بربر الصحراء وعيشهم من اللحم واللبن... ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطب والقولي وغير ذلك، وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصاً اصفر وسراويل زرقاء ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة... فان أردت من تاد مكة إلى القيروان فانك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان... ومنها إلى قسطيلية أربعة عشر يوما ومن قسطيلية إلى القيروان سبعة أيام"[18].

أما أصل تلك القبائل فتنحدر من صنهاجة التي تنقسم بدورها كما يذكر ابن أبي زرع إلى "سبعين قبيلة، وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى، وهذه القبائل كلها صحراوية، حوز بلادهم في القبلة مسيرة سبعة أشهر طولاً ومسيرة أربعة عشر عرضاً، من نول لمطة إلى قبلة القيروان ومن بلاد افريقية وهي مابين بلاد البربر وبلاد السودان"[19].

أما حرفتهم فتقوم على الرعي وتربية الأنعام، لا يعرفون الزراعة، ولا يستقرون في مكان، عيشتهم على اللحم واللبن، وقد يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزاً حتى يمر به تاجر فيقدم له الخبز والدقيق[20].

خضعت تلك القبائل منذ القرن الثاني للهجرة- الثامن للميلاد- لحكم تيلوتان بن تلاكاكين الصنهاجي اللمتوني وأحفاده، وكان هذا الرجل قد ملك الصحراء كلها، وأن له كما يذكر ابن أبي زرع "أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان، كلهم يؤدون له الجزية، وكان عمله مسيرة ثلاثة أشهر في مثلها"، ثم افترق أمر وحدتهم بعد أن توارث الحكم أحفاده وبمقتل حفيده تميم بن الأثير سنة 306هـ-918م، ولم يجتمعوا على أحد بعده، فاختلفت

كلمتهم، وتفرقت أهواءهم مدة من مئة وعشرين سنة إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني، ثم قتل فقام بالأمر بعده يحيى بن إبراهيم الجدالي[21].

لقد اكتسب أهل الصحراء صفة اللثام سنة ملازمة لهم يقول البكري: "وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب، وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه إلا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه إلا إذا تنقب، وكذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع جلودهم، وهم يسمون من هو يعاد عليه القناع، وصار ذلك لهم ألزم من جلودهم، وهم يسمون من خالف زيهم هذا من جميع الناس أفواه الذبان بلغتهم"[22].

ومن جانب آخر فقد آثرت تلك القبائل حياة القفر وفضلوها على أية حياة أخرى حيث "أصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتادوا منها بألبان الأنعام ولحومها، انتباذاً عن العمران واستئناسا بالانفراد وتوحشاً بالعز عن الغلبة والقهر"[23].

أما ألبستهم فقد غلبت عليهم أكسية الصوف نساء ورجالاً، ويضع الرجال على رؤوسهم عمائم الصوف المسماة بالكرازي، وهم أصحاب إبل ونجب عتاق ورحاله[24].

بقي أن نذكر شيئا عن استقرار القبائل العربية التي دخلت المغرب في القرن الخامس للهجرة- الحادي عشر للميلاد- والمعروفة في التاريخ بـ"الهلالية"، وقد أخذت تلك الهجرة هذه الصفة لأن قبائل بني هلال كانت أولى القبائل التي دخلت المغرب في ذلك الوقت[25]، ولقد قدر بعض الباحثين عدد تلك القبائل وقت دخولهم بأرقام تتراوح بين المليون والمائتي ألف[26]، فضلا عن البطون التي كانت قد نقلت منهم منذ عهد الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة 555هـ- 1160م إذ نقل ألف أسرة من كل قبيلة[27]، وصفهم ابن صاحب الصلاة بقوله: "وقد استاف في اتباعه من العرب بني رياح وبني حشم وبني عدي وقبائلهم ما يضيق بهم الفضاء على عدد الذباب وعدد الحصى"[28].

كانت القبائل القيسية تمثل الغالبية في الموجة الأولى من الهجرة الهلالية وخاصة من بني هلال ومنهم زغبة ورياح والأثبج وعدي[29]، بينما شكل بنو سليم العدد الأهم في الموجة الثانية والمشتملة على بطون زغب وهيب وعوف وذياب ودواحة وعميرة وغيرهم من القبائل القيسية الأخرى مثل فزارة والأشجع من غطفان وبنو حشم وسلول من هوازن، بنو عدوان بن عمر

بن قيس عيلان، وبنو طرود بن قيس عيلان، كما جاء من القحطانين أفراد مع بني هلال في الهجرة الأولى، وكان المعقل فرعهم الرئيسي[30].

وما يهمنا هو ما ورد من إشارات تاريخية بشان استقرار تلك القبائل بجوار الصحراء، فقد انتشر من قبائل بني الأثبج مثل بني دريد في المناطق الواقعة بين قسنطينة وبونة في جزئها المحاذي للصحراء[31]، كما استقرت قبائل بني قرة في الأجزاء الشرقية من جبل أوراس المجاور للصحراء[32].

وشهدت صحارى جنوبي برقة وطرابلس تدفق أعداد كبيره من بني سليم وهلال، فقد أشار الإدريسي إلى استقرارهم في صحارى ودان وفزان، ومن ذلك كلامه عن مدينتي أوجلة وزويلة الواقعة في الحافات الجنوبية لصحراء فزان[33]، وهو ما أكده ابن خلدون عندما أشار إلى مناطق استقرارهم مع بربر صحراء فزان قبيلة لمطة[34].

فعلى صعيد المغرب الأوسط توغلت قبائل زغبة مثل بني عامر وبني مالك وبني عروة جنوباً في صحرائه مجاورة قبيلة مسوفة الصنهاجية التي كانت تمتد في مواطنها إلى سجلماسة[35].

أما على صعيد المغرب الأقصى فإن انتشار واستقرار القبائل العربية قد جرى في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد بعد أن قام الموحدون بنقلهم وخاصة من بني هلال وهم رياح ومرة وجذام[36]، بينما استقرت قبائل المعقل في الحافات الشمالية للصحراء يقول ابن خلدون: "ونزلوا أي المعقل مما يلي ملوية ورمال تافيلالت، وجاوروا زناتة في القفار الغربية فعفوا وكثروا وابتنوا في صحارى المغرب الأقصى فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه[37].

واشتهر من بطون المعقل في السوس ثلاثة بطونهم منصور[38] ومواطنهم في تاوريرت إلى درعة؛ فملكوا ملوية كلها إلى سجلماسة ودرعة وما يحاذيها من التل، وحسان ومواطنهم بنواحي ملوية إلى المحيط، وكانوا ينزلون إلى بلاد نول- قاعدة السوس- وقد تغلبوا على القصور الواقعة فيها مثل تار داود في السوس حيث ينتجعون مواطن الملثمين من جدالة ومسوفة ولمتونة، أما البطن الثالث منهم بنو عبيد الله ومواطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر ومنبع وادي زا (صا) في الجنوب، وتنتهي رحلتهم في القفار إلى قصور توات وتمنطيت، وربما عادوا شمالاً إلى تاسابيت وتيكورارين (كورارة) وهذه كلها "رقاب السفر إلى بلاد السودان"[39].

لقد نالت قبيلة المعقل في ظل الحكم الزناتي قصور الصحراء مثل قصور السوس وتوات وبودة وتمنطيت وورقلة وتاسابيت وتيكورارين (كورارة) وكل قصر منها على حد قول ابن خلدون: "وطن منفرد يشتمل على عدة قصور ذات نخيل وانهار"[40].

ومهما يكن من أمر فقد قدر لهذه القبائل الصنهاجية أن تلعب دورا مهما في نشر الإسلام في الصحراء حتى جنوبها يقول ابن أبي زرع: "وسار الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني إلى الصحراء فهدها وسكن أحوالها، وجمع جيوشا كثيرة، وخرج إلى بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر، وغلب أيضا يوسف بن تاشفين على أكثر بلاد المغرب واستوثق أمره به"[41].

ثانيا- تجارة الصحراء: شهدت الصحراء اشتراك أكثر من شخص في إدارة تجارة من التجارات كما هو الحال بالنسبة لأسرة الفقيه محمد بن أحمد المقري قاضي الجماعة بفاس، فقد جاء عن أسرته أنهم خمسة أخوة اشتركوا في تجارة مع بلاد السودان فاستقر اثنان منهم في تلمسان وآخر بسجلماسة وتولى الإثنان الباقيان ما يتعلق بتجارتهم في مدينة إيوالاتن، وقد كانوا يتشاورون في أمور البضائع، ويتولى من يسكن تلمسان إرسال البضائع إلى السودان، فيقدر أسعارها السجلماسي، ويكون على رأي ابن الخطيب: "لسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان والخسران ويكاتبهما بأحوال التجارة وأخبار البلدان"[42].

كانت التجارة سبباً في ثراء البعض ممن كانوا يتحملون المخاطر من أجل توفير بعض السلع اعتماداً على اختلاف الأسعار بين البلدين لأسباب يذكر ابن خلدون بعضها بقوله: "نجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش..."[43].

كانت للنشاط التجاري للمغرب شبكة من المسالك البرية التي ترتبط بها مع المسالك المجاورة ومنها المسالك المارة ببلاد السودان الغربي ونستطيع القول أن المسالك الذي كان رائجاً ومستخدماً لدى القوافل التجارية في القرن الثامن الهجري- الرابع عشر الميلادي- كان يبدأ من سجلماسة آخر المدن ثم تغازة وايوالاتن التي تعد أول أراضي السودان الغربي[44]، وكان ابن بطوطة قد سلكه ثم أخذ طريقاً آخر عند عودته بالانطلاق من بودا التي تعد أكبر

قصور توات حيث منطقة غات- المكان الذي تتجه منه القوافل إلى الديار المصرية- متجهاً نحو مدينة سجلماسة[45].

ومما يسجله ابن خلدون عن محطات تلك المسالك أن قصر تمنطيت هو آخر قصور توات قبلة سجلماسة كان محط انطلاق التجارة بعد أن ترك التجار قصر بودا الواقع أقصى الغرب من جهة السوس بسبب عبث القبائل هناك واعتراضهم للمسافرين[46]، ويذكر العمري منطقة تابليلت[47] بعد سلجماسة باتجاه ايوالاتن[48]، والواقع أن هذا المسلك ظل حتى نهاية القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي- طريقاً مسلوكاً[49]، بعد أن كان مسالك سجلماسة- نول- أوليل وسجلماسة- أودغشت- غانة منعشاً في ظل إمبراطورية غانة[50]، أما الطرق الأخرى التي تربط المغرب بجنوب الصحراء فهي:

1- الطريق الذي يبدأ من ورجله ثم إلى واحة توات فتغازة فولاته ومنها طريق يربط أودغست وتمبكتو ثم إلى مناطق ذهب وانجاره.

2- طريق آخر يبدأ من ورجله- فزان- غات- هجار- تادمكه، ومنها طريق يربط بين غاو وتمبكتو، كما يتفرع من فزان إلى مناطق بحيره تشاد الحالية حيث ممالك الكانم طريق إلى دارفور- مصر[51].

3- طريق ثالث يبدأ من طرابلس، ثم إلى فزان حيث يلتقي مع الطريق الذي يبدأ من برمة، ثم يستمر حتى يصل إلى شمال بحيرة تشاد حيث دولة البرنو وكانم[52].

وزيادة على ذلك فهناك طرق صحراوية تربط بين شرق إفريقيا وجنوبها، ومنها الطريق الذي يبدأ من واحات مصر الغربية ثم إلى زويلة، ومنها يتفرع إلى فرعين: الأول يذهب إلى تشاد، والثاني وهو المهم حيث يتجه إلى حوض نهر النيجر حيث مراكز الذهب، وهناك آخر هو درب الأربعين الذي يربط عددا من الواحات والمدن الواقعة بين مصر وتشاد[53]، ولعل الرواية التي أوردها ابن خلدون عن إحدى القوافل ما يشير إلى نشاط الحركة التجارية مع تحفظنا على الرغم الذي أورده فقد ذكر أن قافلة تجارية عن طريق قصر تكرت "القريب من بسكرة "قدرت جمالها باثني عشر ألف جملاً"[54].

بقي أن نذكر من الطرق الصحراوية التي سلكها سكان الصحراء نحو المشرق الطريق الذي ينطلق من غرب الصحراء أي من درعة وأطرافها نحو الديار المصرية، حيث اتخذوا قصور

الصحراء محطات لراحتهم، فقد ذكر ابن مليح في رحلته الركب الحجازي الذي مر ببلاد درعة ماراً بالدورة ثم ببير أبي العظام قريباً من تابلبالت، ثم دخل أراضي توات إلى اكشطن وهي آخر توات ثم قطعوا مراحل في بلاد تديكلت حتى وصلوا بلاد سردلس قريبا من فزان حيث التقى مع الركب القادم من فاس، ويضيف ابن مليح "أن عدد المراحل من مراكش إلى مزكيطة إحدى عشرة مرحلة، من أول درعة إلى منتهاه عشر مراحل منه، لتبلبالت عشر مراحل، من تبلبالت لتوات ثلاث عشرة مرحلة في قرى توات من أولها إلى آخرها خمس مراحل من آخر توات لبلاد فزان ثلاث وخمسون مرحلة في معمور فزان، ثلاث عشرة مرحلة من فزان لوجلة، سبع عشرة مرحلة من وجلة لسيوة، أربع عشرة مرحلة من سيوة لبحر النيل، ست عشرة مرحلة"[55].

وتشير الاكتشافات الحديثة إلى أن الصحراء كانت تسلك بعربات تجرها خيول لتأمين سبل النقل[56]، ثم كانت الإبل وسيلة النقل الأساسية المستخدمة لأنها "ملاك السفر البعيد ومركز مداره"[57]، فضلاً عن رخص ثمنها، ويفيدنا ابن بطوطة بأنه اشترى في رحلته إلى توات جملين بسبعة وثلاثين مثقالاً وثلث[58]، قد يكون أحدهما لحمل الماء كما هو المعمول به في الرحلة إلى بلاد السودان[59]، والمهم أن سعرهما كان رخيصاً قياساً إلى سعر الخيول التي قد يصل سعر الواحد منها مئة مثقال[60]، ومع رخص الإبل فقد كان كراءها جارياً في بلادهم لاسيما في الرحلة إلى المشرق[61].

بقي أن نذكر أن القوافل التجارية كانت تحتاج إلى الأدلاء الذين لا يُستغنى عنهم لاسيما في الرحلة إلى بلاد السودان[62]، ونجد أن ظاهرة التكشيف كانت أساسية في الرحلة، وقد يصل أجر العامل فيها نحو مائة مثقال من الذهب[63]، كما أن الرحلة لا بد أن تنطلق في فصل الشتاء تخلصاً من العواصف الرملية[64]، فضلاً عن ذلك فقد برزت الحاجة إلى الماء كعنصر مهم لديمومة الحياة فيها، وهذا ما دفع الإدريسي إلى تبيان مقدار المسافات بين أماكن التزود بالماء فيها فقال: "يتزود بالماء فيها من يومين إلى أربعة إلى خمسة وستة أيام"، وهو ما ينطبق على الصحراء "المحصورة بين سجلماسة وتكرور)[65].

ومن جانب آخر فقد ذكر البكري المسافة التي تقع بين بئر وآخر بقوله: "ثم تمشي في الصحراء فتجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصل إلى رأس المجابة إلى البئر المسماة تزامت

بئر معينة غير عذبة...، وفي الشرق منها بير الجمالين وعلى مقربة منها.... بير نالللي، ...وبين هذه الآبار الثلاثة وبلاد الإسلام مسيرَة أربعة أيام، ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية أدراران وتفسيره جبل الحديد...، ومن هذا الجبل مجابة ماؤها على ثمانية أيام وهي المجابة الكبرى، وذلك الماء في بني ينتسر من صنهاجة إلى قرية تسمى مدّوكن لصنهاجه أيضا، ومنها إلى مدينة غانة أربعة أيام"[66]، وزيادة على ذلك فإن الحاجة إلى الماء دفعت التجار إلى البحث عن مصادر المياه وقيامهم بحفر الآبار تأمينا لحياتهم[67].

لقد ترتب على وجود عنصر الماء التحكم بمواعيد الرحلات؛ فقد باتت المناطق القليلة المياه سبباً في العبور منها في فصل الشتاء فقط، وهو ما دفع ابن حوقل إلى تحديد الفصول المناسبة لذلك حيث اعتبر فصل الربيع والخريف أنسب الفصول، فيما اعتبر العبور في فصل الصيف مستحيلاً[68].

تعامل الناس هناك بـــ"المقايضة" لاسيما مع تجار بلاد السودان الغربي قال العمري: "يدخل التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس والودع ويعودون بالذهب"[69]، كما وقعت إشارة أخرى عن الملح، حيث يذكر ابن بطوطة، وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به"[70].

وتفيد المعلومات المتوفرة بأن التاجر على عهد الزناتيين قد تعامل مع السودان الغربي ممثلاً بدولة مالي، فحمل إلى مدنها عدداً من المواد الأساسية التي يجئ في مقدمتها الملح الذي يعد حاجة مهمة لا يمكن الاستغناء عنها، وكانت قيمته تزداد كلما أوغل التاجر في أعماق بلادهم، وقد جاء أن حمل الملح بايوالاتن يباع ما بين ثمانية إلى عشرة مثاقيل بينما يصل سعره إلى ثلاثين مثقالاً وربما بلغ نحو أربعين مثقالاً في مالي[71] لأنه من المواد المعدومة في بلادهم، وعلى هذا الأساس فهم "يبذلون نظير كل صبرة ملح مثلها من الذهب"[72]، وكانت تغازة[73] تعد منجماً حقيقا له، ويذكر القزويني أن جل أشغال أهل تغازة هو جمع الملح طوال السنة، بانتظار القوافل التجارية التي تشتريه منهم[74]، وقد قدر البعض أن ما يحصل عليه التاجر من كل حمل من الذهب ما وزنه 760- 1140 غراماً دون تحديد ذلك[75].

علاوة على ذلك فان تغازة- على ما يبدو- ظلت مصدراً اقتصادياً لدول المغرب فقد ذكر أن السلطان أحمد المنصور السعدي[76]، فرض خلال حكمه على كل حمل يستخرج منها

مثقالاً من الذهب[77]، وزيادة على ذلك فقد ذاع صيت بعض المدن المالية كأسواق لمبادلة الملح بغيره من السلع وبخاصة الذهب، ويأتي في مقدمة تلك المدن مدينة جني[78] التي استقبلت قوافل الملح التي تسمى عندهم بـــ"أزلاي"، وقدر شاهد عيان عدد الجمال التي تصل إلى بلادهم بين 2000- 3000 جملاً[79].

أما التاجر من بلاد المغرب فكان ينقل بعض المواد الأخرى كالحلي الزجاجية، قال ابن بطوطة "والمسافر لا يحمل معه إلا قطع الملح وحلي الزجاج"[80]، والتوابل وأنواع الأقمشة والحاجات المعدنية المستخدمة لديهم في حياتهم اليومية من مصنوعات المغرب[81]، وكذلك الودع المستعمل لديهم كزينة يتحلون بها أو كعملة يتعاملون بها كما في مدينة كوكو القريبة من تمبكتو، وقد سعر 1150 قطعة من الودع بمثقال من الذهب [82]، وزيادة على ذلك فقد نقل التجار إلى بلاد السودان مواداً أخرى كالحبوب حتى قيل إن أغلب قمح السودان وشعيره من المغرب[83]، فضلاً عن قصور الصحراء مثل توات وتيكورارين ووراكلان وغيرها من القصور التي عدت مخزناً كبيراً يمد بلاد السودان بالفواكه[84] واللحوم والزيوت والتمور الموجودة في تلك القصور القريبة إلى تلك البلاد[85].

أما واردات المغرب منها، فإن المعلومات التي وقفنا عليها امتداداً إلى معطيات تلك المدة فتفيد بأن المغرب استورد مادة الذهب الذي تناولته مصادرهم باهتمام شديد، فبعضهم قد ميز نوعين من الذهب المجلوب إليهم، ووصف أحدهما بالبنادق والآخر بأنه يشبه الخزف[86]، بينما تناول الآخر قيمة سجلماسة بوصفها بوابة السودان الغربي ومنطلق قوافله التجارية فقال: "أم البلدان المجاورة لحدود السودان"، فتقصدها بالتبر القوافل... والرفاهية بها فاشية[87].

ومهما يكن من أمر فان البعض قد أورد إحصائيات عن بعض المناجم، ومنها مناجم ونقارة[88] التي بلغ إنتاجها أكثر من تسعة أطنان سنوياً بعد القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي[89].

وزيادة على ذلك فقد استورد المغرب من بلاد السودان بعض أنواع من الجلود والعاج والجوز[90]، ومن منطقة برنو كانوا يجلبون الجواري والفتيان[91]، وعدت منطقة لملم[92] من المناطق الشهيرة في رقيقها الذي يجلبه سكان بلاد التكرور وأهل غانه، ويقومون ببيعه لتجار المغرب[93]،

ومما جاء على لسان ابن بطوطة في أثناء عودته من تكدة أنه وجد قافلة فيها ستمائة شخص للبيع، وكانت تلك المدينة من بين مدنهم التي تتفاخر بكثرة خدمها، ورواج سوقهم فيها، وقد اشترى ابن بطوطة منها خادمة بخمسة وعشرين مثقالاً من الذهب[94].

وقد أشار مؤلف الاستبصار إلى وجود الشبّ الأبيض في المنطقة الصحراوية[95]، ونحن لا نملك معلومات عن استمرار تلك التجارة، وإذا كانت كذلك فلماذا سكتت المصادر عن ذكر تجارة الشب، وهو المادة الأساسية في بعض صناعات المغرب المهمة، وكذلك الحال لمادة النحاس الذي اشتهرت بعض المناطق في السودان الغربي بإنتاجه كمنجم تكدة[96] التي وصفها ابن بطوطة بقوله: "وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه"[97].

ويتبين من خلال سير حركة التبادل بين المغرب وبلاد السودان أن التجارة مع دولة مالي كانت من حصة تجار المغرب، ولم نجد ما يدل على دخول الجنويين إلى السودان الغربي كما ذهب إلى ذلك بلوك مارك[98]، بل يمكن القول إن النشاط التجاري للمغاربة لو قدر له أن يتراجع لأسهم في عرقلة النشاط التجاري مع حوض البحر المتوسط[99]، إذ أن الوجود المغربي في السودان الغربي كان بارزاً ومن بين نتائجه انتعاش بعض المدن فيه كمدينة تمبكتو التي نمت وأدت دوراً ثقافياً في مالي والفضل أولا يعود إلى أقطار المغرب[100].

ثالثا- العلاقات الثقافية والدينية والعمرانية: أما فيما يتعلق بالعلاقات الثقافية والعلمية،فقد كانت الصحراء عنصر تواصل بين المغرب العربي وبلاد السودان، إذ ظلت التأثيرات المغربية بصورة عامة واضحة في بلاد السودان، ولعل عهد منسا موسى الذي تمكن بفضل جهوده من زيادة شهرة دولة مالي محفزا في استقطاب العلماء والفقهاء إلى دولته، وقد أصبحت العاصمة مقصدا للعلماء والفقهاء والتجار المغاربة، فضلا عن غيرهم، وفي زيارة ابن بطوطة لها وجد حيا خاصا للعلماء، وكان كبيرا فقهاء مالي هما محمد بن الفقيه الجزولي وشمس الدين النقويش المغربي[101].

وكانت المراكز الدينية في السودان الغربي تدار من قبل علماء وفقهاء المغرب[102]، مما أسهم في تنشيط حركة علمية في المدن مثل تنبكتو ومالي وجني وجاو استمرت حتى بعد وفاة منسا موسى مراكز للثقافة الإسلامية في إفريقيا[103].

كما نجد التأثير المغربي واضحا في الحياة الثقافية هناك من خلال استخدامهم الخط المغربي في مخاطبتهم الرسمية، ولعل كتاب منسا موسى الذي وجهه إلى الناصر بن قلاوون شاهد على ما نقول[104]، وأن انتشار المذهب المالكي كان واضحا على صعيد دولتهم، ويذكر أن السلطان منسا موسى كان مالكيا وفي حجه إلى مكة اشترى عدة كتب في فقه المالكية[105].

ولما كانت مدن المغرب العربي معروفة بريادتها العلمية والدينية على صعيد تلك البلاد كان العلماء الذين يدرسون في السودان الغربي يقصدونها بين الحين والآخر لغرض الاستزادة من علومها، والالتقاء مع علماء وفقهاء المغرب، ويذكر أن عبد الرحمن التميمي الذي قدم من الحجاز في عهد منسا موسى توجه إلى فاس للدراسة بعد أن قضى مدة في تنبكتو يُدرّس السودانيين العلوم الفقهية، ثم عاد إليها ثانية[106].

ولم يقتصر التأثير المغربي على صعيد الحياة الثقافية والدينية فحسب، بل كان للمغاربة أثرهم في الحياة العمرانية أيضاً، فالسلطان منسا موسى استعان بخبرة العالم أبي إسحاق الساحلي[107]، الذي استخدم الطوب المحروق والأصباغ في تشييد قصره وقسم من المساجد المالية[108]، فكان ذلك سببا في تغير طابع العمران بعد أن كانت البلاد المالية تعتمد في بنائها على الطابع البدائي حيث كانت بيوتهم من الطين وسقوفها من الخشب والقصب[109].

الهوامش:

1- ريمون فيزون- الصحراء الكبرى (القاهرة:1963):19؛ جيمس هوارد وبلارد- الصحراء الكبرى (ليبيا- 1967):77؛ دريد عبد القادر نوري- تاريخ الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء، نشر جامعة الموصل (الموصل :1985):25

2- Trimingham,Ahistory of islamin west Africa(London:1963) p.9.

3- حدودها عند ابن خلدون مابين مصاب إلى بلاد وريغ، العبر:6/ 100، وزيادة على ذلك فإن هناك أكثر من منطقة عرفت بالحمادة ففي شرق سجلماسة تمتد حمادة كبر إلى الحدود الجزائرية وفي جنوبها حمادة الداورة وفي شمالها ناحية بوذيب التي تتصل بالمغرب الشرقي كما توجد هضاب الحمادة في ليبيا؛ ينظر المعهد التربوي – جغرافية الجزائر :25.

4- مجهول- الاستبصار: 150- 160 .

5- المعهد التربوي الوطني- جغرافية الجزائر والمغرب العربي (الجزائر :1982- 1983): 24- 27.

6- العبر:6/101؛ حسين مؤنس- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار مطابع المستقبل (القاهرة :1980): 21.

7- ابن خلدون – العبر :2/ 102 .

8- ابن خلدون- العبر :6/ 51، 405، المقدمة: 1/292؛ عبد العزيز ابن عبد الله- الموسوعة المغربية البشرية والحضارية،ط1، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية (المغرب :1975) :1/ 167 .

9- عبد الوهاب بن منصور- قبائل المغرب، المطبعة الملكية (الرباط : 1968):1/ 292 – 302 .

10- العبر :6/ 203 .

11- افريقيا : 1/ 95 .

12- مجهول- الحلل الموشية :17/ابن خلدون- العبر :6/ 117- 118 .

13- البكري- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك، طبع مكتبة المثنى (بغداد: د.ت): 164؛ مؤلف مجهول- الحلل الموشية :16 .

14- كالدم مدينة بأقصى المغرب جنوبي البحر متاخمة لبلاد السودان ؛الحموي- معجم البلدان :4/ 431 .

15- البكري- المغرب :161- 164 ؛ الحميري – الروض المعطار :28 .

16- أودغست: مدينة كبيرة كانت مقر ملك السودان، بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، وبينها ومدينة غانة عشرة أيام :البكري – المغرب : 168؛الادريسي – نزهة المشتاق : 1/ 108 .

17- كوكو : مدينة مشهورة في بلاد السودان، ملتقى للبحار :الحميري – الروض المعطار :502 .

18- المغرب : 181- 182.

19- الأنيس المطرب بروض القرطاس، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط :1973) : 120 .

20-الأنيس المطرب:120 .

21- المصدر نفسه : 120 - 121.

22- المغرب 170 .

23- ابن خلدون- العبر :/ 181- 182.

24- الإدريسي- المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، حققه محمد حاج صادق: 74.

25- ابن عذاري- البيان المغرب(بيروت :1967) :1/ 228 .

26- عبد الحليم عويس- دولة بني حماد، دار الشروق (القاهرة:1980): 177-178 .

27- ابن ابي زرع – الأنيس المطرب :199 .

28- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي (بغداد : 1979) 136 .

29- السجلات المستنصرية، تحقيق عبد المنعم ماجد (القاهرة :1954)43؛ ابو محمد بن احمد التيجاني، الرحلة (تونس، 1958) 18، صباح إبراهيم الشيخلي- الهلاليون في المغرب- ضوء جديد حول هجرتهم ندوة الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ، نشر المجمع العلمي العراقي (بغداد :2000) 170 .

30- ابن خلدون – العبر :6/ 36 .

31- ابن خلدون – العبر :6/ 5 .

32- ابن عذاري – البيان المغرب :1/ 300 .

33- الإدريسي- نزهة المشتاق: 132- 133 .

34- العبر :6 / 284- 286

35- ابن خلدون – العبر :6/ 95، 105، 116 .

36- ابن القطان –نظم الجمان :67؛ ابن خلدون – العبر :6/26، 63،57 ؛ أحمد بن خالد السلاوي- الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصا (الدار البيضاء : 1953): 1/ 63 .

37- العبر: 6/ 120 .

38- ينقسمون إلى أولاد بن الحسين، نزلوا بين تافيلالت وبنكورارين والأحلاف، وهم العمارنة والمنبات ومواطنهم تجاور أولاد حسين من جهة الشرق ومحلاقم بقفار تافيلالت وصحرائها وبالنل مقصور وطاط وتازة وبطوية وغساسه، ابن خلدون – العبر :6/ 131- 137 .

39- ابن خلدون – العبر : 6/ 23- 26 .

40- العبر :6/ 120، 199 .

41 -الأنيس المطرب :135.

42 - الإحاطة،2/ 191- 193؛ المقري – نفح الطيب :5/205- 206، وكذلك . Bovill,The Golden reade of the Moors.P.98

43 - المقدمة :3/ 918- 919 .

44 - ابن بطوطة- تحفة النظار :674- 677 ؛شوقي غطا الجمل- علاقة المغرب بالأقاليم الصحراوية الواقعة جنوبه، مجلة المناهل العدد الثامن السنة الرابعة (الرباط،1977):139-

145 الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي من كتاب :تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر- معهد البحوث والدراسات العربية (بغداد :1984):76، وينظر كذلك

Greehberg.j:The influence of islam on Sudanese Religion ,University of Washington Press(Washington .1966)Second Edition p4

45 - تحفة النظار:699- 700 ؛ ويصف ابن خلدون منطقة غات "بأنها المفازة المجهلة لا يهتدي فيها للسبيل ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفز" العبر:7/ 56 .

46 - العبر : 7/ 56 .

47 - تابليت وتسمى تابلبالت هي ارض صالحة للزراعة والرعي،كثيرة الخصب والمياه،بينها وبين توات ثلاث عشرة مرحلة ومن جهة درعة عشر مراحل للمزيد ينظر أبو عبد الله محمد بن احمد بن احمد ابن مليح – انس السارى والسارى من أقطار المغارب :تحقيق محمد الفاسي – وزارة الدولة (فاس، 1968) :28، 142.

48 - مسالك الأبصار:140- 141.

49 - للمزيد عن ذلك الطريق ينظر دريد عبد القادر نوري – تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 4- 10هـ/10- 16م، وزارة التعليم العالي (الموصل :1985) :136/نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر، بلا) :140- 141/حسن إبراهيم حسن- انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة :1964): 11/محمد فاتحي- أضواء حول بداية السعديين، مجلة تاريخ المغرب،العدد الرابع، 1984 : 24- 25 .

50 - ماجدة كرمي- العلاقات التجارية بين المغرب والسودان على عهد المرينيين، مجلة دعوة الحق، العدد 269(اخمدية،1988):255.

51 - Murphy.E.J. History of African civilization ,Thomas.y crowell (newyork:1972) p104

خليل إبراهيم حاسم- إمبراطورية مالي الإسلامية- دراسة حضارية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب (الموصل :1980) :46 .

52 - يوسف حسن فضل- الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، بحث في ندوة (العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت :1984) : 39

53- محمد علي ياسين- ذهب إفريقيا جنوب الصحراء،رسالة ماجستير مقدم إلى كلية الآداب (الموصل :1987) :114- 115 .

54 - العبر : 7 / 52 .

55 - انس الساري والسارب من أقطار المغارب،مقدمه المحقق،ح- د .ن.142

56- لوفران جورج- تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحاضر، ترجمة هاشم الحسيني (بيروت :دت) 19/ بازل دافدسون، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال احمد (بيروت :1963) :118 .

57 - القشتالي - مناهل الصفا :129؛ كريم - المغرب في عهد الدولة السعدية :158 .

58 - تحفة النظار :699 .

59 - مارمول - افريقيا :1/ 49 .

60 - ابن بطوطة - تحفة النظار:691.

61 - الحضرمي - السلسل العذب :79 .

62 - ابن بطوطة - تحفة النظار :673 .

63 - التكشيف هي الصفة التي ينعت بها كل فرد من قبيلة مسوفة،فهو يتقدم القافلة كي يصل إلى ايوالاتن،ويجهز لهم الدور فضلا عن استقبال القافلة بالماء في أعماق الصحراء،وقد يتعرض إلى الموت بسبب المخاطر التي تواجهه في مهمته، ابن بطوطة، تحفة النظار : 675 .

64 - الوزان - وصف افريقيا :86.

65 - صفة المغرب:2 .

66 - المغرب في ذكر بلاد إفريقيا :163- 164 .

67 - أحمد بن المقري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس (بيروت :1968):5 / 205.

68 - صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة (لبنان :دت):100 .

69 - مسالك الأبصار :140 .

70 - تحفة النظار :674.

71- ابن بطوطة - تحفة النظار : 674، الأمين - تجارة القوافل: 84- 85.

72- العمري مسالك الأبصار : 76،المنجد - مملكة مالي :68- 69.

73- تغازة: تقع في شمال مملكة مالي أي أنها تتوسط القفز بين المغرب وبلاد السودان الغربي، وفيها معدن الملح الذي يتاجر به إلى بلاد السودان. للمزيد عن ملح تغازه ينظر أبو حامد الغرناطي- تحفة الألباب:42؛ القشتالي- مناهل الصفا :120، يسرى عبد الرزاق الجوهري- شمال افريقية دراسة في الجغرافية التاريخية- دار الجامعات المصرية (القاهرة :1970) : 182 .

74 - آثار البلاد وأخبار العباد - دار صادر(بيروت :1960) :26 .

75- يوسف- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط: 219 نقلاً عن 42.bovil ,caravans of old Sahara. (londan,1935)

76 - هو أبو العباس احمد المنصور، من أشهر سلاطين الدولة السعدية التي قامت بعد انتهاء حكم الدولة المرينية، ومن أعماله أنه توغل في بلاد السودان. وقد لقبه بعض الشيوخ بـ"عالم الخلفاء وخليفة الحكماء". للمزيد عنه ينظر أحمد علي المنجور، فهرسة أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، دار الغرب (الرباط،1976):22- 28، ليفي بروفنسال- مؤرخو الشرفاء : تعريب عبد القادر الخلادي- دار الغرب للتأليف والترجمة (الرباط،1976):78 .

77 - الافراني - نزهة الحادي :88

78 - عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي -تاريخ السودان،نشر هوداس (باريس :1964):11- 12.

79 - Campell .D.Timbactoa in the muslim World ,Vol 20 ,1930,p.171.Ajayi and Michael crowder History of west Africa ,two Vol Columbea University Press Newyork ,Second Ed.1976)p.14.

80 - تحفة النظار : 68.

81 - كريمي - العلاقات التجارية بين المغرب والسودان :253.

82- ابن بطوطة- تحفة النظار :577، 692- 695، ويسميه أهل تلك البلاد بـ"كودي" العمري- مسالك الأبصار :71، ينظر الديهي- عجائب البلدان :الورقة 95 .

83 - الغربي- بداية الحكم المغربي:487 .

84 - ابن خلدون - المقدمة :1/ 292 .

85 - ابن بطوطة- تحفة النظار:674، 700، نعيم قداح - إفريقيا الغربية في ظل الإسلام وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة الوحدة العربية (دمشق،بلا) :126- 127.

86- البنادق من بندق- الحكيم- الدوحة المشبكة: 31، وللمزيد عن أوصافه ينظر العمري- مسالك الأبصار :68، التعريف بالمصطلح الشريف: 27.

87- ابن الخطيب- معيار الاختيار: 81، وللمزيد ينظر موريس لومبارد- الذهب الإسلامي من القرن الحادي عشر الميلادي، بحوث في التاريخ الاقتصادي،ترجمة توفيق اسكندر (القاهرة،1961) :62 وكذلك

Messier,A.Ronald ,The Almoravids in the economic and Social History of the Orient ,Vol X711,Part ,1,1974p.38 .

88- ظلت منطقة ونقارة مجهولة. ولم يعرف بها لأهميتها كممنجم للذهب، إلا أن الدراسات الحديثة تحددها في المنطقة المحصورة بين المصبات العليا لنهري السنغال والنيجر، ويرى الباحثون أن ونقارة الموصوفة في المصادر العربية هي مناجم منطقة بامبوك وبيور. للمزيد ينظر محمد علي ياسين حامد- ذهب إفريقيا جنوب الصحراء ودوره في التجارة العربية الإسلامية منذ القرن الرابع

حتى القرن التاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب (الموصل: 1987): 80- 84؛ وينظر إبراهيم علي طرخان- إمبراطورية غانة الإسلامية، (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (القاهرة، 1970) :68- 71 .

89 - Robert July,A History of the African People (New York- 1970)p.53.

90 - ابن الخطيب - الإحاطة :2/ 191 .

91 - ابن بطوطة - تحفة النظار: 698.

92 - وتعرف كذلك بـ"دمدم"، وتعيش هناك قبائل بدائية، وقد كانت غانة قبل هذا العهد تحصل عليهم عن طريق الغزوات للمزيد ينظر- المسالك الإسلامية :111، زكي- الدول الإسلامية :85، أوليفر رولند،جون فيج، موجز تاريخ إفريقيا، ترجمة دولت صادق محمد السيد غلاب- الدار المصرية للتأليف والنشر (القاهرة، بلا):122 .

93 - ابن خلدون- المقدمة :1 / 292.

94 - تحفة النظار :697- 699 .

95 - مجهول- الاستبصار في عجائب الأمصار: 255؛ آدم متز- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ،ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة،1947):2 / 316 .

96Bovill- The Golden Trade of the moors .p.92- نكدة: تقع شرقي النيجر ومن الصعب تحديد موقعها، غير أنها عرفت كمركز تجاري مهم بين جاو وايري على طريق الحج عبر الصحراء، للمزيد عنها ينظر .

97- تحفة النظار :697- 698، وللمزيد عن نحاس السودان ينظر العمري - مسالك الأبصار: 64- 75 ؛عبد القادر زبادية - مملكة صنغاي في عهد الاسقيين (الجزائر،بلا) : 190 .

98- مشكلة الذهب في العصر الوسيط- من بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق اسكندر(القاهرة،1961):41.

99- فرنان برودل- من ذهب السودان إلى فضة امريكا/من بحوث في التاريخ الاقتصادي ترجمة توفيق اسكندر (القاهرة: 1961) :83؛ دافد سون بازل- إفريقيا تحت أضواء جديدة: 136 .

100- السعدي- تاريخ السودان : 9، 20- 21.

101 - تحفة النظار :681.

102- السعدي- تاريخ السودان :57 .

103- طرخان- دولة مالي: 156.

104- القلقشندي - صبح الأعشى :5 / 298؛المنجد - مملكة مالي :65 .

105- المقريزي - الذهب المسبوك :112- 113 .

106- السعدي - تاريخ السودان :51 .

107- ابن الخطيب - الكتيبة الكامنة :235.

108- ابن بطوطة- تحفة النظار :683- 684 ؛السعدي - تاريخ السودان :8.

109- القلقشندي- صبح الأعشى:283/5، وللمزيد عن قصر السلطان المالي ينظر حسن- انتشار الإسلام والعروبة :63.